الفصل الثانى

بن جـــوريون يذهــب إلى ســديه بوكير:
«منتجع روحانى، وذلك على سبيل التمويه»

خط موسى شاريت أولى ملاحظاته فى يومياته الشخصية فى ٩ أكتوبر عام ١٩٥٣ . قبل ذلك بوقت قصير أعلن بن جوريون، الذى كان رئيس وزراء إسرائيل ووزير دفاعها، نيته الانسحاب من أنشطة الحكومة. شاريت، الذى كان ثانى شخصية بعد بن جوريون منذ الأيام التى سبقت إعلان الدولة، اختير ليحل محله كرئيس وزراء إسرائيل. كما سيتولى منصب وزير الخارجية.

بالنسبة للرأى العام، تم تقديم نية بن جوريون للتقاعد بأسلوب رفيع على أنها تدريب روحانى، وهو مقياس قادر على إثارة الحماس لدى الشباب الإسرائيلى واليهودى، وضرورى من أجل إعادة الخراف الصهيونية إلى القيم التى تخلى عنها، قيم مثل الريادة والاستيطان. فى الواقع، وبينما كانت الدولة تنفق الملايين من الجنيهات لبناء «منزل صيفى» لبن جوريون فى كيبوتز سديه بوكير فى النقب،

ولتنظيم المسائل الأمنية والاتصالات، كان الرجل العجوز يعرف بالفعل، وأخبر معاونيه، أن غيابه من الحكومة سوف يدوم لمدة عامين. كان وراء الحملة التى أعطت انسحابه مسحة مثالية، سيناريو قام هو ورجاله بإعداده بدقة متناهية. فى ذلك الوقت، بعد أربع سنوات من حرب عامى ١٩٤٨-١٩٤٩، كانت المؤسسة الأمنية قد أعدت خططًا للتوسع الإسرائيلى. خطوط الهدنة التى وضعت فى رودس، وبرغم أنها تحددت بحيث تمنح إسرائيل أكثر من ثلث الأراضى التى منحها إياها قرار التقسيم بالأمم المتحدة عام ١٩٤٧، اعتبرها الجيش غير مرضية، فقد كان يأمل فى استعادة، على الأقل، حدود فلسطين تحت الانتداب. كان بن جوريون قد وضع بالفعل النظرية حول ضرورة أن تصبح إسرائيل قوة إقليمية فى الشرق الأوسط. لتحقيق هذا الهدف، تم أيضًا وضع استراتيجية تهدف إلى زعزعة استقرار المنطقة: من الناحية التطبيقية، كما سنرى، أهم نقطة لها خلال الربع قرن التالى، ستكون وضع سياسة سياسية/ عسكرية عرفت تحت الاسم المضلل «الانتقام». ولكن الظروف الدولية التى يمكن أن تعمل على تطبيق هذا التصميم الاستراتيجى، كان لا بد من ترتيبها.

لقد كانت المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الغرب بشكل خاص، ضرورة أساسية. وفى الوقت نفسه، كان يجب منع التقارب بين الغرب والعالم العربى. لتحقيق هذا الهدف، كان لا بد أن يقتنع الغرب بأن إسرائيل هى أفضل رهان عسكرى له فى المنطقة، وذلك كان هدفًا أساسيًا آخر؛ من أجله وقعت الهجمات الواسعة التى شنها الجيش الإسرائيلى عبر الحدود. وفى الوقت نفسه، كان لا بد أيضًا، ألا يشعر الغرب مسبقًا بالقلق من نوايا إسرائيل، لأن الغرب ليس معدًا بعد لمساندة أهداف إسرائيل. أما انسحاب بن جوريون الرسمى، وحلول شاريت «المعتدل» محله، فقد فسر من جانب الديبلوماسية الدولية على أنه علامة على أن إسرائيل لا تتجه إلى الحرب. منذ إطلاق العمليات الانتقامية، تصاعد هذا الخوف فى العالم العربى.

على المدى القصير، كان هدف الخطط الإسرائيلية هو إبطاء المفاوضات بين الدول العربية، التى كانت تسعى بسرعة لأن تحصل على السلاح، والغرب، الذى كان مترددًا فى تسليحها. فى غضون ذلك الوقت، لم تكن فكرة توجيه العمليات العسكرية إلى أى سبب آخر غير السبب المعلن عنه ـ وهو حماية المدنيين الإسرائيليين ضد الهجمات التى اتسمت بالشكل الإرهابى من الأراضى العربية ـ لا بد أن تحصل على المصداقية تحت ولاية شاريت كرئيس وزراء، لأنه كان شخصًا عرفه الجميع بأنه كرَّس نفسه من أجل الاعتدال والديبلوماسية. إن أسطورة أمن إسرائيل، التى كان هدفها حشد إجماع عام، سوف تدعم بشكل واسع عند غياب بن جوريون. وهكذا توجه إلى سديه بوكير، ترافقه هالة القديس الرائد، أما شاريت، فكان على استعداد ليحل محله، أو هكذا تصور. فى الواقع، كان على بن جوريون البقاء مسيطرًا على كل قنوات القيادة.

* * *